

ومن كان في مثل هذه الحالة ، لا يستطيع الا اتخاذ القرار الاسهل الملائم  
لوضعه : الرفض .

### بين النظرية والمواقع

لم تتبلور النظريات والاسس والمفاهيم الرفضية الصهيونية - الاسرائيلية ،  
بنواحيها الفكرية او « الفلسفية » او « النفسية » في فراغ ، بل تم ذلك من خلال  
تفاعل دائم وشبه يومي مع المواقع ، الذي افرز نتائج دعمت وجهات النظر تلك .  
فالتجربة الصهيونية حققت نجاحا واضحا وملموسا على الصعيد العملي ، لا  
يمكن تجاهله . وقد طغى هذا النجاح على ابصار الصهيونيين وجعلهم يعتقدون  
انهم قادرون بـ « شطارتهم » على تحقيق المكسب التلو الاخر ، وتأمين مصالحهم،  
مهما كانت الصعوبات ، وهذا اعتقاد لا يدفع الا نحو التشبث بالرفض .

لقد حقق المشروع الصهيوني ما حققه من نجاح نتيجة لتكاتف عوامل عديدة ،  
لا تتعلق بقدرات الصهيونيين وحدهم . واول ما يظهر واضحا للعيان ، في هذا  
المجال ، الدور المهم الذي لعبته القوى الخارجية ، الممثلة في الدول الاستعمارية  
الغربية الرئيسية ، الساعية الى السيطرة على العالم العربي وخيراته ، في  
تبني المشروع الصهيوني ودعمه . ولعل ذلك العامل الخارجي هو الاكثر اهمية،  
ان لم يكن الاول ، من حيث تأثيره على تحقيق المشروع الصهيوني ، اذ لولاه لما  
قامت لذلك المشروع قائمة ، على الرغم من ادعاءات الصهيونيين واليهود التي  
قد تشير الى عكس ذلك . فالصهيونيون لم يستطيعوا تحقيق اية مكاسب تذكر  
في فلسطين خلال العقود الاربعة الاولى من نشاطهم المنظم في البلد وخارجه ،  
رغم الجهود المضنية التي بذلوها في سبيل ذلك ، ولم يتغير وضعهم الا بعد ان  
قررت بريطانيا تبنيهم ، مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، باصدار وعد بلفور .  
وخلال الثلاثين سنة التالية ( ١٩١٧ - ١٩٤٧ ) ، وعلى الرغم من الخلافات  
والمشاحنات التي كانت تحدث ، من حين الى اخر ، بين الصهيونيين  
والبريطانيين ، نما المشروع الصهيوني في فلسطين وتطور وقوي عوده تحسنت  
حمية الحراب البريطانية اساسا ، الى ان اعلن دولة سنة ١٩٤٨ . كما ان  
تلك الدولة تمتعت ، منذ قيامها وحتى اليوم ، بحماية ودعم القوى الاجنبية :  
بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ( التصريح الثلاثي ) في اوائل الخمسينات،  
فرنسا في اواخر الخمسينات واولئ الستينات ، والولايات المتحدة منذ منتصف  
الستينات على الاقل . واهمية هذه الحماية واضحة للغاية ، لا تحتاج الى  
براهين كثيرة ، وهي التي تلعب دورا كبيرا في تقوية الصلف الاسرائيلي . فلولا  
الدعم الاميركي الحالي ، السياسي والعسكري والاقتصادي لاسرائيل ، المتزايد  
سنة بعد اخرى لما كان باستطاعتها التمسك بالسياسة التوسعية المتشنجة التي  
تتبعها ، وتحدي العالم العربي بأسره .